

بيت الحكمة في بغداد أنموذجاً

ليبوتات الحكمة في العالم العربي والإسلامي

نشأتها - تطورها - اشهر أعلامين فيها ودورها في التفاعل الحضاري

أ.م.د. رعد ناجي عبود المحمدي

الجامعة التقنية الوسطى



المستخلص

تتناول هذه الدراسة بيوتات الحكمة في العالم العربي و الاسلامي واتخذ الباحث من بيت الحكمة في بغداد أنموذجاً لبيوتات الحكمة في حواضر الدولة لأنها أنشأت جميعاً على غرارها. كان نواة هذا البيت في عهد ابي جعفر المنصور ثم تطور في عهد الرشيد وولده المامون والآخر أولاه عناية كبيرة من ماله ووقته وكان يشرف على بيت الحكمة , ويختار من بين العلماء والمتكلمين من اللغات اليونانية والفارسية والسريانية والقبطية بحيث أصبح هذا البيت مركزاً للابحاث والتأليف ورصد النجوم.. وأهم ما يميزه هو تعدد المصادر من الكتب القديمة التي ألفت للخلفاء ونسخت مما جعلها مجعاً علمياً" . بقي بيت الحكمة قائماً حتى احتلال بغداد 656هـ - 1258م . حيث دمرت محتوياتها ونهبت . وأهم ما استخلصه الباحث ان العرب والمسلمين حملوا عبأ الفكر الانساني فما ان أطلعوا على العلوم والثقافات الاجنبية التي ترجمت معظمها في بيت الحكمة انطلقوا يطبقونها وينشرونها ويضيفون اليها نتيجة الممارسة والتجربة والبحث وبرز اعلام وأسر مثل آل بطريق , وآل حنين بن اسحاق , وآل نوبخت, واولاد موسى بن شاکر , وآل هارون... واخرون. كان لهم اسهام كبير في تطور بيت الحكمة وتفوقه

الكلمات المفتاحية: بيوت الحكمة, بيت الحكمة في بغداد

Abstract

This study deals with the Butaat Al-Hikma in the Arab and Islamic world. The researcher from Bayt al-Hikma in Baghdad adopted a model for the Butaat Al-Hikma in the state's cities because they established all the same. During the reign of Abi Jaafar al-Mansur, he developed in the era of Rashid and his late and late son. He paid great attention to his money and time. He supervised the Bayt al-Hikma. He chose among the scholars and speakers of the Greek, Persian, Syriac and Coptic languages to become a center for research, writing and monitoring of stars. And the most important feature is the multiplicity of sources of ancient books that were written to the successors and copied, making it a scientific complex. "Bayt al-Hikma remained" until the occupation of Baghdad 656 AH - 1258 AD. Where its contents were destroyed and looted. The most important conclusion of the researcher is that the Arabs and Muslims carried the burden of human thought. Once they learned about the foreign sciences and cultures, most of them were translated into the Bayt al-Hikma and started to apply it and publish it and add it to it as a result of practice, experimentation and research. Al-Badriq, Al-Haneen ibn Ishaq, Al-Nuqqat, Musa ibn Shaker and Al-Harun... and others. They had a great contribution to the development and excellence of the Bayt al-Hikma

يقاس تقدم الأمم والحضارات والدول بما أنتجه علمائها من علوم وآداب . ويتنوع هذا النتاج الفكري كما " ونوعا" . لهذا لا بد لنا من معرفة هذا النتاج الراقى كيف كتب وترجم وكيف نسخ وهذا لن يتم الا من خلال التعرف على آلية حفظ هذه الكنوز الفكرية في الاماكن التي اخذت مسميات عديدة منها (بيوت الحكمة) أو (دور الكتب) أو (دور العلم) أو (خزائن الكتب) التي تعني بالمفهوم المعاصر (المكتبة).

لقد احتل الكتاب في الحضارة العربية وفي حياة الانسان العربي مكانا" بارزا" ولا غرابة في ذلك فإن محور الحياة العربية (كتاب القرآن الكريم) أعتمد عليه الانسان العربي في منهجه وسلوكه ونظرتة للحياة ولا نبالغ اذا قلنا انه لا توجد حضارة تنافس الحضارة العربية الإسلامية جعلت الكتاب نبراسا" لها فزخرت المكتبات او دور الكتب العامة والخاصة بالمؤلفات القيمة في مختلف الاتجاهات العلمية واقبل العلماء على تدوين العلوم وتنظيم المعارف كما اقبل الطلاب على الدراسة وملازمة العلماء ودور الكتب وتنافس العلماء والامراء والاثرياء على اقتناء الكتب والمصادر العلمية واستنساخها وشاعت روح العلم واحترام العلماء والاعتزاز بالكتاب بطريقة لانجد لها نظير في الحضارات السابقة .

لقد كان للخلفاء دور كبير بتأسيس دور الكتب لحفظ النتاج الفكري وتشجيع حركة البحث والنسخ والترجمة , واذا ما أردنا استقراء عدد المكتبات ودور الكتب في حواضر الدولة العربية الإسلامية كبغداد , القاهرة , الشام وقرطبة نجد العديد من بيوتات الحكمة وأن كان لبغداد الحظ الأوفر كونها عاصمة الدولة ومركزا" لأستقطاب الشخصيات العلمية المرموقة . بحيث أصبحت أنموذجا" يحتذى به في العالم الانساني بشكل عام وحواضر الدولة العربية الإسلامية بشكل خاص التي أخذت تقلدها في أنشاء المكتبات والتي تعد مراكزا" علمية وبحثية اضافة الى صفتها الأم . لقد كان تأسيس بيت الحكمة على يد العباسيين حدثا" ثقافيا" بالغ الاثر في الحضارة الانسانية إذ لم تكن مجرد مكتبة بل مسرحا" للحوار بين حضارات الشرق والغرب .

يهدف هذا البحث .

- 1- أظهر الدور الريادي المهم لبيوتات الحكمة في العالم العربي الإسلامي بشكل عام ودور بيت الحكمة في بغداد بشكل خاص , والمهمة التي أخذت على عاتقها في النهضة العلمية والتفاعل بين ثقافات الأمم
- 2- أبرز دور الشخصيات العلمية التي عملت في بيت الحكمة والشخصيات والتي أسهمت في حركة التعريب والنقل والترجمة .

لتكون هذه الدراسة إضافة أخرى وجديدة الى جانب الأعلام التي أهتمت بالتراث وعملت على إبرازه ومن الله التوفيق والسداد

المحور الأول:

أشهر بيوتات الحكمة في العالم العربي والإسلامي .

اولاً- دار العلم في القاهرة

يطلق عليها بعض الباحثين (بيت الحكمة) أنشأها الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله عام (395هـ) وخصص لها داراً كبيرة على مقربة من القصر الغربي في القاهرة .. وتتكون هذه الدار من عدة أقسام رئيسية منها ما هو مخصص للعلماء والفقهاء ومنها ما هو مخصص للقرآن والمنشدين ومنها ما يعود للمنجمين , إضافة الى قسم دارسي اللغة والنحو . وهناك جناح خاص بالاطباء وقاعة للندوات والفعاليات المختلفة.(1) وكانت هذه المكتبة تزود بمختلف الكتب من خزائن القصور الفاطمية إضافة الى الاهداءات . ونقلت اليها الكتب من خزائن الحاكم بأمر الله الفاطمي في سائر العلوم والآداب ونمت مجموعاتها حتى وصلت الى مليون وستمئة مجلد وقد يكون هذا العدد مبالغ فيه وفي كل الاحوال هي لا تقل عن المليون مجلد(2) ويذكر المقرئ أن دار العلم لم تفتح ابوابها الا بعد أن فرشت وزينت وزخرفت وعلقت على جميع ابوابها وممراتها الستائر , وعين عليها الخدام والقوام . وكانت رفوفها مفتوحة والكتب في متناول الجميع ويستطيع الراغب في أن يحصل على الكتاب بنفسه فأيسر له ذلك فاذا ضلّ الطريق أستعان بأحد المناولين (3) وكان لمكتبة دار العلم أمين يسمى الخازن يشرف على محتوياتها وموظفيها كما عين لها مترجمون ومجلدون وكان أبو نصر المعروف بالشيرازي (427-487هـ) واحد من أشهر الذين تولوا إدارة هذه الدار وهو من أبرز المؤلفين والدعاة للفكر الفاطمي . بل يرى الكثير من المؤرخين انها أنشأت بالاساس للتعريف بالمذهب الفاطمي ولجذب المريدين والاتباع ولمواجهة التحديات الناجمة عن العهد العباسي (4)

لقد حققت هذه الدار مستوى متقدم في التنظيم والفهرسة والترتيب لكن من المؤسف انها تعرضت للسلب والتلف والضياح أثر الخلاف الذي نشب بين السوادنيين والأتراك في مصر حيث أحرق العابثون الكثير من محتوياتها ويوم دخل صلاح الدين القاهرة بعد قرن تقريبا" من تلك الكارثة التي حلت بها قام بهدمها وبنى مكانها مدرسة للشافعية (5)

ثانياً- دار العلم ببغداد أو (خزانة سابور)

أسس هذه المكتبة سابور بن أردشير (ت416هـ) وكان وزيراً لبهاء الدولة البويهية ووّرر ايضاً لشرف الدولة وكان كاتباً "سديدا" انشأ هذه المكتبة في بغداد محلة الكرخ .(6) نقل اليها كتب كثيرة أبتاعها وجمعها وعمل الفهارس لها . وأشار ابن الأثير . (7) أن مجلداتها بلغت أكثر من

بيت الحكمة في بغداد أنموذجا" لبيوتات الحكمة في العالم العربي والإسلامي نشأتها - تطورها-

اشهر العاملين فيها ودورها في التفاعل الحضاري

عشرة الآف في مختلف أصناف العلوم منها مائة مصحف بخط ابن مقلة .كانت هذه الدار ملتقى العلماء والباحثين وكان جماعة من العلماء يهدون مؤلفاتهم لهذه الخزانة ومايؤيد ذلك أن جبرائيل بن عبدالله بن بختشيوغ ت(396هـ) أهدى كتابه الكافي خمس مجلدات الى دار العلم ببغداد.(8)وذكر كوركيس عواد ان أهم العاملين في هذه المكتبة الذين تولّوا الاشراف عليها وتنظيم كتبها وفهارسها هم. (9)

1- أحمد عبدالسلام بن الحسن البصري اللغوي (ت405هـ) كان يتولى خزانة الكتب هذه

وحفظها والاشراف عليها وكان عالما" واديبا" وقارئ للقرآن عارفا" بالقراءات(10)

2- أبي منصور محمد بن علي بن أسحاق بن يوسف (ت412هـ)

3- الشريف المرتضى أبو القاسم علي بن الحسن الموسوي نقيب الطالبين صاحب

الامالي (ت436هـ) وقد آلت اليه الخزانة بعد وفاة سابور بن أردشير .وضلت هذه

المكتبة حتى (451هـ) حيث شبت نار هائلة واحترقت دار العلم ونهبت بعض كتبها

وقد وذكر بعض المؤرخين ان المكتبة احترقت اثناء دخول طغرل بل بجيشه الى بغداد

.. ولا بد هنا من الاشارة الى انه وجد في بغداد أبان مجدها وعزها ستة وثلاثون مكتبة

مفتوحة الابواب امام الباحثين والقراء(11)

ثالثا- المكتبات في بلاد الشام

وإذا انتقلنا الى بلاد الشام فاننا نجد ان المكتبات اشتهرت في عهد الدولة الفاطمية ومن أشهر

المكتبات , المكتبة التي كانت في طرابلس والتي احرقها الافرنج . وقصة هذه المكتبة ان بنى

العمار في طرابلس الشام هم من بناها - وبني عمار هم من حكم قسما" من الساحل السوري في

القرن الخامس الهجري وقد جعلوا من طرابلس الشام عاصمة لهم حيث نظمت الحياة

الاقتصادية والسياسية والثقافية في عصرهم وكانوا شيعة على المذهب الاسماعيلي , اهتموا بنشر

مذهبهم والدعاية لهم وبذلك أوجدوا مؤسسة تقوم بهذا الدور وهي (دار العلم في طرابلس الشام)

وقد تعاقب على المدينة عدد كبير من الامراء الذين اهتموا بهذه المكتبة وتزويدها بالكتب حتى

كان لهم وكلاء يجوبون الاقطار الاسلامية المختلفة بحثا" عن الكتب والمخطوطات النادرة .(12)

أضف الى ذلك كان فيها عدد من النساخ يزيد عددهم على المائة وثمانون ناسخا" يتناوبون

العمل فيها ليل نهار , وقد اختلفت الاراء حول محتوياتها وعندما احتل الصليبيون المنطقة عام

(400هـ) أحرقوا هذه المكتبة نتيجة التعصب الديني الاعمى وبذلك ذهب كنز وثروة

لا تعوض.(13) وعودة اخرى الى مكتبات بلاد الشام لما تولى نور الدين وانشأ المدارس في

مدنها جعل فيها خزائن الكتب وتعرف بالخزائن النورية وهكذا فعل صلاح الدين .(14)

ولم نجد أهتماماً" عدا ذلك بالمكتبات بسبب الحروب الطاحنة التي كانت بلاد الشام مسرحاً لها وانصرف الحكماء والامراء لهذه الحروب ويعد سيف الدولة الحمداني من أشهر امراء سوريا الذين اهتموا بالعلم والادب وكان مقر سيف الدولة في حلب حيث التفت حول بلاطه عدداً من أعظم الأدباء والشعراء والعلماء منهم المتنبّي وأبو فراس الحمداني وأبن خالويه والفيلسوف الفارابي وآخرون . كذلك أهتم سيف الدولة بالنقل من السريانية الى العربية واوجد مكتبة .(15)

رابعاً- مكتبة قرطبة

اذا انتقلنا الى الاندلس فاننا سنجد مكتبة قرطبة الشهيرة التي أسسها الحكم الثاني المستنصر بالله الذي تولى الخلافة عام (350-366هـ) قد جمع في قصره نوادر الكتب والحدائق في النسخ والتجليد وفي عصره أجتتمع في الاندلس خزائن من الكتب لم تكن لأحد من قبله ولا من بعده.(16) وكان يبعث في شرائها رجالاً من التجار ومعهم الاموال ويحظّمهم على البذل في سبيلها لينا فاس بني العباس في اقتناء الكتب وتقريب الكتّاب , وفعل ذلك مع ابي الفرج الاصفهاني صاحب كتاب الاغاني فبعث اليه ان يرسل له كتاب الاغاني قبل أخراجه لبني العباس وبذل له على ذلك ألف دينار ذهباً .. وكذلك فعل مع القاضي الابهرى في شرحه لمختصر ابن عبدالحكيم وغيره .(17) فاجتمع له من الكتب مالم يسبق لغيره فجعلوها في قاعات خاصة من قصر قرطبة أقاموا عليها مديراً ومشرفاً ووضعوا لها الفهارس لكل موضوع على حدة وكانت فهارس الدواوين اربعة واربعون فهرساً .(18) فاصبحت مكتبة قرطبة مثلاً يحتذى به في مناطق الاندلس الاخرى مثل أشبيلية وغرناطة فاذا ما مات عالم حملت كتبه الى قرطبة كي تباع لكن مايدعوا الى الاسف ان مصير هذه المكتبة كان فاجعاً حيث أحتقرت بعد وفاة المستنصر بالله, الكتب الفلسفية وكتب علوم الاوائل في الميدان العام لقرطبة وبيع الجزء الاخر منها ونهب ماتبقى على يد البربر عندما دخلو قرطبة عنوة".(19)

المحور الثاني:

لماذا بيوت الحكمة؟

لم تكن كثرة المكتبات في العالم العربي عامة وفي العراق خاصة وليدة العصر الاسلامي الجديد وحده وانما أضف الى ذلك ماورثه العالم العربي من حب المكتبات منذ القدم . فقد أنشأ العراقيون المكتبات وان كانت في بداية امرها في بابل وأشور والكلدان, سواء كانت على اشكال رقم طينية او نقوش في جدران المعابد والقصور أو مايكتب على العظام والرقوق ومن ثم القراطس (البردي) قبل ان يعرف الكاغد ويصنع الورق.

وعندما ظهر الورق وانتقلت صناعته الى بغداد انتشرت في دار الخلافة العباسية مؤسسات علمية وثقافية متنوعة منها المكتبات او دور الكتب ولها اهمية اكبر واسمى فهي تغذي كل المؤسسات العلمية والثقافية والمراسد والمستشفيات والمدارس بما تحتاجه من مصادر المعلومات . ويبدو

بيت الحكمة في بغداد أنموذجا" لبيوتات الحكمة في العالم العربي والإسلامي نشأتها - تطورها-

اشهر العاملين فيها ودورها في التفاعل الحضاري

من خلال الاطلاع على المصادر التاريخية ذات العلاقة بالموضوع ان المكتبات كانت فوق العد والحصر من حيث النوع فمنها العامة والخاصة والمكتبات الاكاديمية . وكان هناك جملة من

الاسباب شجعت على ايجاد المكتبات اضافة لما ذكرناه من الموروث الحضاري منها

1- التطور العلمي الكبير الذي حققه العلماء العرب في جميع العلوم وادراكهم لأهمية التخصص والعمل في كل فروعها - نتيجة التوسع الكبير الذي اصاب العلوم جميعها بفضل الاضافات الجديدة

2- تشجيع الاسلام للعلم والعلماء من خلال القرآن الكريم وآياته الصريحة والسير بتعاليمه لطلب العلم والمعرفة. (20) وتشجيع الرسول الكريم (محمد صلى الله عليه وسلم) على العلم وتحصيله

3- التشجيع والدعم اللامحدود من قبل الخلفاء والامراء والأئمة .

4- الانقسام السياسي سواء في المشرق العربي او شمال افريقيا او في الاندلس ساهم في خلق المنافسة في ايجاد المكتبات

5- ظهور الفرق الاسلامية ومذاهبها اثر في توسع الثقافة بالبلدان المفتوحة والتقاء الثقافة العربية الاسلامية بالثقافات الفارسية واليونانية والهندية . (21) فترجمت مؤلفاتها لحاجة هذه الفرق الى اسنادات فلسفية ومنطقية وعلمية ومصادر غير اسلامية افرزت هذه الترجمة نتاج فكري هائل. (22)

6- توسع الدولة نتيجة الفتوحات الاسلامية وازدياد الرخاء وتوفر الاموال دعى الى نهضة علمية والاهتمام بالمراكز الثقافية والفكرية. (23)

7- قرب المراكز العلمية باعالي الشام من عاصمة الدولة والاتصال بالرومان ساعد على النقل والترجمة وتوفر نتاج فكري اضافي.

8- ازدهار مهنة الوراقة في بغداد بعد انتقال صناعة الورق من سمرقند اصبح المخطوط أقل كلفة وبذلك امسى الكتاب اوسع انتشارا" فاخذ النساخون بنسخ الكتب المترجمة لعدد كبير من الناس من الذين يرغبون في اقتنائها او بيعها اذ كانوا معنيون بدراسة الكتب ومناقشتها في المجالس الادبية والعلمية. (24)

9- الاجواء العلمية التي وفرتها الحضارة العربية الاسلامية وانفتاح الاممة افرادا" وجماعات على انجازات الأمم الاخرى قد خلف دون شك الظروف المناسبة.... لظهور المكتبات والعناية بها.

المحور الثالث: بيت الحكمة في بغداد

اولاً" النشأة

تعد مكتبة بيت الحكمة في بغداد من أشهر المكتبات الاسلامية على الاطلاق في ذلك العصر , وهي أول مكتبة عرفت في الاسلام وترجّح بعض المصادر أن النواة الاولى لهذه المكتبة كانت في عهد الخليفة أبي جعفر المنصور (136-158هـ) حيث كانت له خزانة كتب كبيرة وأشار الى ذلك صاعد الاندلسي الى ان المنصور كان أول من عني بالامور هذه من خلفاء بني العباس وكان مع براعته بالفقه وتقدمه في علم الفلسفة خاصة وفي علم صناعة النجوم كلفا" بها وبأهلها . (25) وذكر ابن ابي اصيبعة في ترجمة الطبيب جورجيس بن بختشيوخ (ت152هـ) انه نقل للمنصور كتباً كثيرة من كتب اليونان الى العربية . (26)

وأشار الى ان ابن البطريق كان أحد التراجمة في ايام المنصور فقد أمره بنقل الكتب القديمة وله نقل كثير جيد الاّ انه دون نقل حنين بن أسحاق. (27) ولا شك أن النسخ الأم لهذه الكتب المنقولة كانت تحفظ في خزانة المنصور التي كانت البداية لنشأت بيت الحكمة وعندما وليّ هارون الرشيد (170-193هـ) شجع حركة النقل والترجمة وأضاف الى خزانه جده المنصور ما أجمع اليه من الكتب المؤلفة والمترجمة وبدأ بتوسيع المكتبة وتطويرها . وقد كان يعمل فيها علماء مختلّفوا الثقافة , فيوحنا بن ماسويه نصراني كان له القدرة على ترجمة الكتب اليونانية وان الرشيد قلده بترجمة الكتب القديمة مما وجد في انقرة وعامورية وسائر بلاد الروم حين سباها المسلمون .. وابن نويخت ذكر ابن النديم في ترجمته وقال انه كان يعمل في خزانه الحكمة للرشيد . (28) وفي حديثه عن علّان الشعبي قال (وينسخ في بيت الحكمة للرشيد والمأمون والبرامكة). (29)

أما في عهد المأمون (198-218هـ) فإن اي باحث سوف يرى رغبته في الفلسفة والعلوم العقلية أشد وميله أقوى وتبع ذلك اتساع بيت الحكمة . روى ابن النديم أن المأمون كان بينه وبين ملك الروم مراسلات وقد أستظهر عليه المأمون , فكتب الى ملك الروم يسأله الأذن في أنفاذ ما يختار من العلوم القديمة المخزونة المدخرة لبلد الروم فأجاب بعد أمتناع فأخرج المأمون لذلك جماعة منهم الحجاج بن مطر , ابن البطريق , و سلم صاحب بيت الحكمة وغيرهم فأخذوا مما وجدوا ماأختاروا وعندما حملوه اليه امرهم بنقله فنقل وقد قيل انه يوحنا بن ماسويه ممن نفذ الى بلد الروم. (30) وذكر ابن نباته عند الكلام عن سهل بن هارون وقال (وجعله كاتباً" على خزائن الحكمة) وهي كتب الفلاسفة التي نقلت للمأمون من جزيرة قبرص وذلك ان المأمون لما هادن صاحب هذه الجزيرة ارسل اليه يطلب خزانه كتب اليونان وكانت مجموعة عندهم في بيت لا يظهر عليه احد فأرسلها اليه وأغتنب بها المأمون وجعل سهل بن هارون خازنًا" لها . (31)

نستنتج أن مكتبة بيت الحكمة كانت في عصرها الذهبي في خلافة المأمون وقد استفاد من التراث اليوناني وأفاده في نفس الوقت كما سنرى في الصفحات القادمة من هذا البحث , ومن المعروف

بيت الحكمة في بغداد أنموذجا" لبيوتات الحكمة في العالم العربي والإسلامي نشأتها - تطورها-

اشهر العاملين فيها ودورها في التفاعل الحضاري

ان القسطنطينية كان بها مكتبة كبيرة أنشأت عام (336م) وعني بعض الملوك بتوسيعها حتى بلغت نحو مائة الف مجلد , وقد أستفاد منها المأمون ونقل منها الكثير .(32)

ثانيا- موجودات المكتبة واقسامها

ان طرق الحصول على الكتب لبيت الحكمة كانت متنوعة فمنها جلب من الدول التي فتحها المسلمون ومنها الشراء ومنها الهدايا , لكن المصدر الرئيس كان مايؤلف ويترجم وينسخ داخل حدود الدولة الاسلامية وخاصة في بيت الحكمة نفسه ولهذا بلغ عدد كتبها كما تشير المصادر التاريخية الى أكثر من مليون نسخة وهذه الخزنة حافلة بتراث اليونان والفرس والهنود والعرب وغيرهم من الامم فقد ذكر ابن النديم انه نقل انموذجا" من الخط الحميري.(33) والحبشي من هذه الخزنة.(34) وذكر المسعودي انه رأى مصورات بلدانية تصور الأقاليم السبعة وقسال (ورأيت من ذلك كتاب جغرافيا لمارينوس وتفسير جغرافيا قطع الارض وفي الصورة المأمونية التي عملت للمأمون أجمع على صنعها عدة من حكماء أهل عصره صور العالم فيها بافلاكه ونجومه وبرّه وبحره وعامره وغامره ومساكن الامم والمدن وغير ذلك وهي أحسن مما تقدمها جغرافيا بطليموس ومارينوس وغيرها .(35) وهناك حكاية اخرى أوردها كوركيس عواد نقلا" عن رسائل البلغاء (أن المأمون دعا بفهرست كتبه وجعل يقلبه فلم يجد ذكرا" لكتاب جاويزان خرد فقال كيف يسقط ذكر هذا الكتاب عن الفهرست وفي مثل هذا القول دلالة واضحة على ان المأمون كان يريد ان لا تخلو خزانته من اي كتاب مهما عرّ وندر وجوده.(36) ودلالة ايضا" على ان هذه الخزنة كانت منظمة ويوجد بها فهرس وأدلة أرشادية. وارتبطت بالمكتبة عدة أقسام.(37)

1- الايداع 2- الأعارة 3- النسخ والتجليد 4- الخرائط والمصورات

5- التأليف والترجمة

وكانت المكتبة أشبه ماتكون جامعة حيث كانت تظم مساكن ملحقة للطلبة والمعلمين وساحة جامعية أضف الى ذلك مطعم لتزويد روادها بالغذاء وتتكون من طابقين

- الطابق السفلي ويضم قاعات خاصة بخزائن الكتب وأقيام الترجمة والنسخ والتأليف والتجليد والمطالعة والدراسة لكل حقل من حقول المعرفة .

- الطابق العلوي فكان خاص باقامة المؤلفين والمترجمين والدارسين والعاملين .

وتذكر بعض المصادر أن بيت الحكمة كانت مؤثثة بأفخر الاثاث من حيث الرفوف والابواب والستائر والسجاد وغيره , وابوابها مفتوحة لكل قارئ أو باحث ولهذا يعتبرها البعض مكتبة عامة الا أن البعض يعتبرها مكتبة أكاديمية بسبب نشاطها في مجال التأليف والترجمة والنقل والنسخ وكذلك في مجال تدوين المحاضرات .(38) وكان ملحقا" بها مرصدا" فلنيا" حيث كانت مؤثلا"

للمنجمين (39) وهي كذلك مركزا " علميا" يلتقي فيه المحذّثون وعلماء الكلام والعربية والفقهاء يجتمعون فيها ويتناظرون امام الخليفة .

ثالثا- ميزانية المكتبة

لقد انفتحت الدولة العباسية في عصرها الاول أموالا" طائلة على بيت الحكمة ونشاطاته العلمية فقد كان عليها مثلا" أن تدفع مبالغ كبيرة للحصول على المخطوطات ونقلها ومبالغ أخرى للمترجمين والعلماء والاداريين واعمال النسخ والرصد والصيانة ... الخ وتذكر المصادر ان المأمون كان يعطي بعض المترجمين أمثال حنين بن أسحاق وزن الكتاب الذي يترجمه ذهباً", وكان أولاد موسى بن شاكر ينفقون خمسمائة دينار في الشهر للنقل والملازمة (40) وفي الواقع ليس لدى الباحث رغم التمحيص والتفتيش في المصادر ذات العلاقة عرض لميزانية المكتبة بشكل مفصل ودقيق سوى اشارات بسيطة كونًا فكرة لميزانية المكتبة التي لم تكن قليلة في أي حال من الاحوال .. فقد أوقف مؤسسوا المكتبات الاوقاف الشخصية ليضمنوا استمراريتها وحسن أدائها لمهمتها التي وجدت من أجلها خاصة بعد وفاة مؤسسها كما فعل المأمون.

وكانت الميزانية المخصصة لبيت الحكمة (أداريا) كالاتي (41)

1- ثمن الورق للنسخ (تسعون دينارا")

2- رواتب الخازن والمشرف والعمال (خمسة وسبعون دينارا")

3- إصلاح الكتب وترميمها (أثني عشر دينارا")

4- ثمن الماء (أثني عشر دينارا")

5- المفروشات الارضية (خمسة وسبعون دينارا")

6- ستائر (ترميم وصيانة) دينار واحد

وخلاصة القول ان بيت الحكمة وكأي مكتبة كانت تحصل على كتبها بطرق متعددة أهمها الشراء والوقف , والنسخ, والهبات, والهدايا, والمصادرة . أما القاعدة الرئيسية لأغنائها فكانت من خلال الشراء إذ ازدهرت تجارة الكتب في العالم العربي الإسلامي أزدهارا" واسعا" بعد أن ظهرت اسواق وحوانيت الوراقين ودكاكينهم التي كانت تباع الكتب كأى سلعة . وكان الخلفاء يبعثون الرسل الى اسواق الوراقين للحصول على نفائس الكتب ونوادير المخطوطات .

المحور الرابع:العاملين في بيت الحكمة

كان صاحب الخزانة المكتبي يختار من بين المسلمين المعروفين بالبحث والتأليف في زمانهم ومن بين المترجمين المشهورين او على اقل تقدير من الوراقين الذين ذاع صيتهم ان أمين المكتبة كان يسمى صاحب بيت الحكمة ولعل أكثر من شغل هذا المنصب ووضع بصمة فيه وكان اسمه متداولاً بين طيات الكتب هو سهل بن هارون , وترجمته تدل على سعة اطلاعه ونشاطه العلمي.

بيت الحكمة في بغداد أنموذجا" لبيوتات الحكمة في العالم العربي والإسلامي نشأتها - تطورها-

اشهر العاملين فيها ودورها في التفاعل الحضاري

فهو سهل بن هارون بن راهيوني الدستيمياني . كاتب فارسي الاصل ولد (بدستيمييان) بين البصرة وواسط , أقام بالبصرة مدة انتقل الى بغداد كتب ليحيى بن خالد البرمكي وخلفه على الدواوين بعد نكبة البرامكة , ولأه المأمون نظارة مكتبته الخاصة ودار الحكمة , كان له ديوان رسائل وشعر قليل ألف عدة كتب في القصص تقليدا" لـ (كليلا ودمنة) أهمها
1- ثعلبة وعفراء 2- النمر والثعلب 3- المخزومي والهدلية 4- الواثق والعذراء .

وألف كتب اخرى مثل الاخوان والمسائل وتدبير الملك والسياسة . وبقيت لنا رسالته في البخل وهي أول ما ألف بالعربية , أسلوبه كاسلوب ابن المقفع سهل وواضح ومحكم ودقيق في اختيار الالفاظ بعيدا" عن الزينة.(42)

ومن تولى أمانة بيت الحكمة (سلم) وله نقول من الفارسي الى العربي.(43) وكذلك الحسن بن مرار الضبي المعروف بالصنوبري. ولم نعر على ترجمة وافية لهم , وسعيد بن هريم وكان فصيحاً "مترسلاً" له من الكتب كتاب الحكمة ومنافعها وله رسائل مجموعة.(44) وجدير بالذكر ان هذه المكتبة كان فيها طائفة من أكابر العلماء في ذلك العصر لاسيما من يمتلك القدرة على معرفة أكثر من لغة شغلوا عدة وظائف مشتركة منها خزن الكتب او استنساخها او ترجمتها ونقلها من لغة الى اخرى .

ولعل من أشهر النساخين (علان الشعبي)أصله من فارس كان راوية عارفاً بالانساب والمثالب والمناظرات منقطع الى البرامكة يقول عنه ابن النديم .(45) (أشهر النساخين للرشيد والمأمون والبرامكة له عدد كبير من الكتب في المثالب مثل كتاب الميدان الذي تحدّث فيه عن مثالب قريش) وذكر ايضا" في نفس الترجمة ان له من الكتب المفردات . 1- كتاب فضائل كنانة 2- كتاب النمر بن قاصد 3- كتاب نسب تغلب بن وائل 4- كتاب فضائل ربيعة 5- كتاب المناقرة

وبعد ان وصلت الى بيت الحكمة المجاميع العلمية من التراث اليوناني وتم تصنيفها وترميمها وفق الاصول فتح المأمون العمل لخيرة المترجمين والأطباء والادباء للعمل وكان المعيار الكفاءة العلمية والعلماء الاكثر حضوة هم الذين يتقنون اكثر من لغة وأشتهروا بالدقة والنزاهة كما أسلفنا . والمترجمين الذين عملوا في بيت الحكمة يمكن تقسيمهم الى ثلاثة مجاميع . وسنركز على أهم الشخصيات.

أشهر النقلة والمترجمين من المسيحيين الذين ترجموا في بيت الحكمة من اليونانية الى العربية

1- حنين بن اسحاق .(ت260هـ) ولد بالحيرة سنة (194هـ) من أب نصراني نسطوري كان يعمل بالصيدلة .. يعد من أمهر أطباء زمانه عرف بحسن العلاج والتأليف أتقن أربع

لغات هي الآرامية والسريانية واليونانية والفارسية أتقانا" عجيبا" أهلته لترجمة كتب كثيرة (46) قال عنه القفطي (كان فصيح اللسان بارعا" وشاعرا" وخطيبا" فصيحاً" أختير للترجمة وأؤتمن عليها جعل له المتوكل كتاباً" عالمين بالترجمة , كانوا يترجمون ويتصفح ما ترجموا , كأصطفي بن باسيل وموسى بن خالد الترجماني ويحيى بن هارون (47) وقد أحصيت مؤلفاته من كتب ورسائل وقد جاوزت المائة وثلاثين كتاباً" الى جانب المصنفات التي كتبها بالآرامية . وقد طبعت الى مخطوطات شتى على ان أغلبها أمتدت لها يد الفناء .(48) سافر حنين الى بلاد كثيرة ووصل الى بلاد الروم لطلب الكتب التي قصد نقلها وأمتلك مكتبة كبيرة حافلة بتصانيف الكتب الأخرية والعربية والآرامية . وفي المحنة التي أصابته أيام المتوكل بسبب مادّته حساده ومنافسوه أمر المتوكل بأعتقاله والتضييق عليه حيث روى عن نفسه فقال (فحمل جميع ماكان لي من رحل وأثاث وكتب وماشاكل ذلك وأمر بنفض منازلتي في الماء.(49) أتحف بيت الحكمة بعدد كبير من النقول منها واشهرها.(50)

- 1- كتاب أحكام الاعراب على مذهب اليونانيين
- 2- المسائل في الطب
- 3- للمتعلمين وزاد فيها حبيش بن الأعمم
- 4- كتاب الاغذية ثلاث مقالات
- 5- كتاب معرفة أوجاع المعدة وعلاجها مقالتان
- 6- كتاب المد والجزر مقالة
- 7- كتاب الالوان مقالة
- 8- كتاب المولودين لسته أشهر (مقالة) جميعها من خزائن بيت الحكمة في بغداد

2- حبيش بن الأعمم . هو ابن أخت حنين بن أسحاق وأحد تلامذته كان بارعا" في الترجمة من اليوناني والسرياني الى العربي وكان حنين يقدمه ويعظمه ويصفه ويرضى نقله وقيل أن من جملة سعادة حنين صحبته له وأن أكثر مانقله حبيش نسب الى حنين وكثيرا" مايرى الجهال شيئا" من الكتب القديمة مترجمة بنقل حبيش . والغرّ منهم يعتقد أن الناسخ أخطأ في الاسم ويغلب على ظنه انه حنين وقد صحّف فيكشطه ويجعله لحنين . له من التصانيف (كتاب الزيادة في المسائل لحنين).(51)

3- أسحاق بن حنين.(ت298هـ) يجاري ابيه في الفضل وصحة النقل من اللغة اليونانية والسريانية الى العربية , كان فصيحاً" بالعربية وي زيد على ابيه في ذلك وخدم من خدمه ابوه من الخلفاء العباسيين . أصيب بالفالج وتوفي في بغداد وله من الكتب سوى مانقل من الكتب القديمة . (52)

بيت الحكمة في بغداد أنموذجا" لبيوتات الحكمة في العالم العربي والإسلامي نشأتها - تطورها-

اشهر العاملين فيها ودورها في التفاعل الحضاري

1- كتاب الأدوية المفردة على الحروف. 2- كتاب تاريخ الأطباء

3- كتاب الكناش اللطيف 4- كتاب الأدوية المفردة اللطيف .

وله من النقول أصول الهندسة لأرخميدس والمقولات لأرسطو. (53)

4- **يوحنا بن ماسويه**. (ت243هـ) من علماء الأطباء سرياني الأصل عربي المنشأ

كان أبوه صيدلانيا" في جند ايسابور ثم من أطباء العين في بغداد خدم الرشيد , نبغ
أبنة يوحنا صاحب الترجمة حتى كان أحد الذين عهد اليهم هارون بترجمة ما وجد
من كتب الطب القديمة في أنقرة وعامورية وغيرها من بلاد الروم وجعله أميناً على
الترجمة في بيت الحكمة ورتب له كتاباً " حاذقين لم يقتصر عمله على خدمة العلم
بل خدم الرشيد والمأمون ومن بعدهما الى ايام المتوكل بمعالجتهم وتطبيب مرضاهم
وأصاب شهرة واسعة كونه جمع بين الطب والفلسفة والأدب له اربعون مؤلف
معظمها رسائل منها (معرفة العين وطبقاتها) (والحميات) (و دغل العين) توفي في
سامراء. (54)

5- **قسطا بن لوقا البعلبكي**. (ت300هـ) فيلسوف من نصارى الشام دخل الى بلاد الروم

وحصل من تصانيفهم الشيء الكثير وعاد الى الشام وأستدعي الى العراق ليترجم
كتبا" ويستخرجها الى اللسان العربي كان عالماً" باللغات اليونانية والسريانية والعربية
وكان جيد النقل , أصلح نقولا" كثيرة في الطب .. وايضا" كان متحققا" بعلم الهندسة
والعدد والنجوم والمنطق والطبيعة له تصانيف نختصر منها . (55)

1- كتاب المدخل الى الهندسة 2- الفرق بين النفس والروح 3- كتاب

المرايا المنحرفة 4- كتاب الاوزان والمكاييل 5- كتاب السياسة

ثلاث مقالات 6- كتاب المروحة واسباب الريح 7- كتاب المدخل

والمنطق 8- كتاب الفردوس 9- كتاب النوادر اليونانية وذكر مذاهبهم

6- **الحجاج بن مطر**. هو ايضا" من نصارى الشام عمل في بيت الحكمة وكان من جملة

الذين ترجموا للمأمون وساهم في نقل كتاب المجسطي وأقليدس من اليونانية الى
العربية وهو من الذين أرسلهم المأمون الى جانب أبين البطريق وسلماً" صاحب بيت
الحكمة الى ملك الروم بعد أن أتفق معه على انفاذ ما يختار من العلوم القديمة
المخزونة والمدخرة لدى ملك الروم. (56)

7- **يوحنا بن البطريق**. (ت200هـ)ترجمان كان مولى للمأمون , أميناً على الترجمة حسن التأدية للمعاني ألكن اللسان في العربية وكانت الفلسفة أغلب عليه من الطب تولى ترجمة كتب أرسطو طاليس خاصة "وترجم من كتب أبو قراط مثل حنين وغيره وجد من كتبه (السياسة في تدبير الرئاسة- مخطوط). (57)

8- **ثابت بن قرة بن زهرون الحراني الصابي**. (ت288هـ) عالم بالرياضيات ,طبيب وفيلسوف —ن مشاهير النقلة في الإسلام ولد في حران وأنتقل الى بغداد تفقه بالفلسفة والرياضيات , حدثت بينه وبين أهل مذهبه أشياء انكروها عليه في المذهب فحرّم عليه دخول الهيكل وهرب الى دارا وأقام بها مدة الى أن قدم محمد بن موسى بن شاكر بلاد الروم راجعاً الى بغداد فأجتمع به وأستصحبه معه الى بغداد وقدمه الى الخليفة المعتضد فالحقه ببلاطه وكانت له منزلة رفيعة وأمضى حياته في بغداد يؤلف . ومن كتبه

1- رسالة في سنة الشمس

2- رسالة في استخراج المسائل الهندسية

3- رسالة في الاعداد

4- رسالة في الجدي والحصبة

وكتب اخرى في مختلف المعارف.(58)

وهناك الكثير من العلماء والنقلة والمترجمون الذين ساهموا في ازدهار الحركة العلمية من اللسان اليوناني الى العربي ,عملوا في بيت الحكمة وفي بلاط الخلفاء العباسيين لم يتسع المجال لذكرهم لذا اكتفى الباحث بأكثر الشخصيات تداولاً في المصادر التاريخية ولمزيد من التفصيل بإمكان القارئ مراجعة كتاب الفهرست لابن النديم خاصة" المقالة السابعة في الفلسفة والعلوم القديمة .

أشهر النقلة من الفارسية الذين عملوا في بيت الحكمة

1- **الفضل بن نوبخت**. فارسي الاصل من أئمة المتكلمين وذكر في كتبهم واستوفى نسبه

من ذكره كأبن النديم وأبي عبدالله المرزباني كان في زمن هارون الرشيد وولاه القيام بخزانة كتب الحكمة وكان ينقل من الفارسية الى العربية مايجد من كتب الحكمة الفارسية ومعه في علمه وكتبه على كتب الفرس وله من التصانيف

1- كتاب النهمطان في المواليد

2- كتاب الفأل النجومي

4- كتاب التشبيه والتمثيل

5- كتاب المنتحل من أقاويل المنجمين في الاخبار

والمسائل والمواليد.

وكتبا" اخرى.(59)

بيت الحكمة في بغداد أنموذجا" لبيوتات الحكمة في العالم العربي والإسلامي نشأتها - تطورها-

اشهر العاملين فيها ودورها في التفاعل الحضاري

ومن النقلة من آل نوبخت ايضا" الحسن بن سهل بن نوبخت وكان من المنجمين وله من الكتب كتاب الانواء.(60) ومن الذين نقلوا من الفارسية سهــــــــــــل بن هارون الذي سبقت ترجمته كابرزالامناء لبيت الحكمة .

2- يحيى بن ابي منصور الفارسي. (230هـ) رأس آل منجم نشأ بين موالى المأمون العباسي واتصل بالفضل بن سهل وكان يعمل برأيه في أحكام النجوم .(61) ولما قتل الفضل أجتباها المأمون ورَّغبه في الاسلام , وكان مجوسيا" فاسلم على يديه , فاحتضنه المأمون . ولما عزم المأمون على رصد الكواكب تقدم اليه جماعة آخرين وأمرهم بالرصد وأصلاح آلاته ففعلوا ذلك في بغداد ودمشق واستمر بالعمل الى وفاة المأمون . توفي في حلب ودفن في مقابر قريش وله من الكتب (كتاب الزيج الممتحن نسختان) أولى وثانية ومقالة في(ارتفاع سدس ساعة لعرض مدينة السلام) وكتاب يحتوي على ارساد له ورسائل عدة الى جماعة في الارصاد.(62)

3- محمد بن موسى الخوارزمي. (ت232هـ)وهو رياضي وفلكي ومؤرخ من أهل خوارزم ينعت بالاستاذ . أقامه المأمون العباسي قيما" وأميناً"على خزانة بيت الحكمة وعهد اليه بجمع الكتب اليونانية وترجمتها الى العربية وأمره باختصار (المجسطي) لبطليموس فأختصره وسماه (السند هند) أي الدهر الداهر فكان هذا الكتاب أساساً" لعلم الفلك بعد الاسلام . وللخوارزمي عدة مؤلفات منها .

1- كتاب الجبر والمقابلة ترجم الى اللاتينية ثم الى الانكليزية ونشر وطبع بالعربية مختصر منه . (والزيج)نقل منه المسعودي . (والتأريخ) نقل عنه حمزة الأصفهاني , وكتاب صورة الارض من المدن والجبال وكتب اخرى .(63)

ومن العلماء الذين تربوا ونبغوا علميا" في بيت الحكمة وتركوا آثارا" لايمكن ان يغفلها المؤرخين واهل الاختصاص . وهم المجموعة الثالثة:-

- اولاد موسى بن شاكر . وكان موسى والد المهندسين الثلاثة في شبابه قاطع طريق فتاب ودخل خدمة المأمون, وتعلم التنجيم وهيئة الافلاك له كتاب (الدرجات في طبائع الكواكب السبعة) مخطوط (ت 200هـ) وترك. ابناؤه صغارا" في بيت الحكمة.(64) وأولاده هم . محمد واحمد والحسن وهم الاخوة الذين ينسب اليهم حيل بني موسى في الميكائيل مشهورين بها وكانوا مقرئين من المأمون العباسي يرجع اليهم في حل مايعسر عليه فهمه من آراء متقدمي الحكماء وكانت لهم همم عالية في تحصيل العلوم القديمة وكتب الاوائل وأجهدوا انفسهم في شأنها ونفذوا الى بلاد الروم واحضروا النقلة الى بيت

الحكمة من الاصقاع فأظهروا عجائب الحكمة ووضعوا كتابا" يشتمل على كل غريبة
كتاب الحيل لبني موسى بن شاكر) وهو مخطوط في مكتبة الفاتيكان. (65) ولهم من
الكتب ايضا". (66)

- كتاب الشكل المدور المستطيل (للحسن بن موسى)
- حركة الافلاك الاولى (مقالة لمحمد بن موسى)
- كتاب مخروطات ليموفوس (لمحمد بن موسى)
- كتاب الحيل (لأحمد بن موسى)

-المحور الخامس: دور بيت الحكمة في أمتزاج الثقافات

مما لاشك فيه ان الحضارات يأخذ بعضها من البعض الاخر لانها تراث انساني ملك لجميع
البشر ولأبأس ان يستفيد العربي من الهندي والفارسي والاوربي او العكس. لقد افاد العرب من
الثقافة اليونانية والثقافات الاخرى ولكن أقل من تلك الفائدة التي جناها الغرب الاوربي من الثقافة
الاسلامية وفي نطاق المساحة الفعلية والفكرية لاينبغي انكار ان المسلمين في المعارف العامة
وليس في الاصول الدينية قد أستفادوا من علوم اليونان من فلسفة ومنطق وطب وفلك ورياضة
والواقع ان اعظم ماتم في بيت الحكمة هو الحوار بين الحضارات التي تلاقت على ساحاته
وبين أروقته. وعلى الرغم من اختلاف هذه الحضارات من حيث الاسس والخصائص والسياق
التاريخي فانها تفاعلت فيما بينها وتبادلت العلوم والآداب والمفاهيم والمناهج . ولابد من الاشارة
الا انه من الصعوبة لهذا الحوار بين الحضارات ان ينجح ويؤدي رسالته الانسانية لولا :-

- 1- الحرية التي توافرت لرجال العلم والفكر في بيت الحكمة
- 2- لولا سياسة التسامح التي انتهجتها الدولة الاسلامية العباسية تجاه الآخرين وحضاراتهم
وعقائدهم . بحيث لم يمنع أحد من أهل العلم على أختلاف ملهم من المناظرة في أعقد
المسائل.

ولم تحاول اي ثقافة احتواء الاخرى بل لم تحاول اي من القوى السياسية ان تفرض ثقافة بعينها
على الثقافات الاخرى وهذا ماجعل الحوار بين الحضارات في بيت الحكمة يتسم بالعقلانية
واحترام الآخر وهذا ساعد على تبادل العلوم والآداب والتي شكلت في النهاية . ولا شك ان
الحوار والتمازج بين الحضارة الدينية الإسلامية والحضارات الاخرى كان عاملا" مهما" في انتقال
العرب والمسلمين الى الابداع والنبوغ أذ لم يثبت العلماء العرب والمسلمون قدرتهم على استيعاب
التراث اليوناني فحسب وانما على نقده وتجاوزه واستخدامه في تلبية حاجات مجتمعهم الفكرية
بحيث اصبح بيت الحكمة معهدا" للترجمة والنقل . ضمت خيرة العلماء الذي سبق ترجمتهم في
المحور السابق من هذا البحث وكان من نتائج النقل والترجمة. (67)

بيت الحكمة في بغداد أنموذجا" لبيوتات الحكمة في العالم العربي والإسلامي نشأتها - تطورها-

اشهر العاملين فيها ودورها في التفاعل الحضاري

1- نشوء حضارة ذات طابع اصيل يتميز بالديمومة وبعناصر تختلـف عن الحضارات السابقة والحضارات اللاحقة وهذا مايميز الحضارة العربية بالعمق والشمول والعمق والاصالة

2- وفرت حركة النقل مادة حضارية اتاحت للعلماء الاخرين اختراعات وابتكارات وتطورات علمية في شتى الميادين

3- أضفت الفلسفة اليونانية ضوء جديد على كافة اوجه الحياة الاسلامية من الناحية الدينية واللغوية والاجتماعية

أما مآفادته الحضارة اليونانية القديمة والحضارات الاخرى من بيت الحكمة فقد تجلى بالكثير من الميادين منها

1- انقاد التراث اليوناني القديم من الفناء والأسر الذي كان يعانيه الآخرون وبالأخص العالم الأوربي فأن من المعروف ان الكنيسة في الغرب قد حاربت التراث اليوناني القديم وأعتبرته ضارا" بالعقيدة المسيحية لارتباطه بالوثنية ومنعت المسيحيين من الاطلاع عليه. مما أدى الى ازدياد وأهمال معظم أعمال فلاسفة وأدباء اليونان. ومايؤيد ماذهبنا اليه في هذا القول إعلان جستينان (ت565م) مدرسة الفلسفة في أثينا عام(529م) ولقد ظل هذا الموقف المعادي للتراث اليوناني قرونا" طويلة والدليل على ذلك انه عندما بعث الخليفة المأمون الى امبراطور الروم يطلب منه كتب الفلسفة اليونانية أمتنع لولا تدخل الرهبان الذين حثوه على تلبية رغبة الخليفة وقالوا له (أن هذه الكتب لم تدخل بلد أو دولة الاً أفسدتها وأوقعت بين علمائها.....الخ) وعند أذ اسرع الامبراطور في ارسال تلك الكتب (68) ولهذا كله لانبالغ اذا قلنا ان جلب التراث اليوناني الى بيت الحكمة وترجمته الى العربية هو أنقاذ له من الفناء بدليل انه عندما بدأت اوربا تتلمس بدايات نهضتها الحديثة والتي قامت على أساس احياء التراث اليوناني القديم لم تجد في حوزتها سوى الترجمة العربية لهذا التراث لأن معظم أصوله اليونانية الاولى كانت قد فقدت. ولم تقتصر الفائدة على الانقاذ بل شرح ونقد هذا التراث من قبل العلماء العرب والمسلمين.

وخلاصة القول ان بيت الحكمة كانت مكتبة ومعهدا" ومركزا" علميا" وثقافيا" للدولة العباسية كان للخليفة المأمون بالدرجة الاساس الفضل الكبير بما يتميز به من فكر مستنير وحر وثقافة واسعة ان يجعلها استراتيجية ثقافية للدولة . فقد أدرك من خلال نشأته ودراسته من ناحية وعلاقته الوثيقة برجال العلم والادب من عرب ومسلمين ونساطرة وفرس وهنود وصابئة من ناحية اخرى أن بناء الحضارة العربية الإسلامية مرهون بالتفاعل والتمازج والحوار بين

الحضارات والأفاده من كنوزها لأن ماتوصل اليه علماء تلك الحضارات هو ملك للانسانية جمعاء بغض النظر عن الجنس والعقيدة. وأنطلاقاً من هذا المبدأ العظيم والعقلاني فتحت أبواب الترجمة في عهد المأمون على مصراعها حتى أصبحت ستراتيجية عامة للدولة شملت معظم العلوم والمعارف التي ازدهرت في الحضارات القديمة بحيث أصبحت بيت الحكمة ليست خزانة مهمتها خزن الكتب بل بيت مهمته خزن الكتب والترجمة والتأليف وأحتضان مسألة الحوار بين الحضارات وتبادل العلوم والفنون فيما بينها .

- نهاية بيت الحكمة في بغداد

نستنتج مما سبق أن هذه المكتبة كانت تقوم بنسخ الكتب كما كان يفعل اعلان الشعبي و يترجمها الى العربية كما كان يفعل يوحنا بن ماسويه وابن اسحاق وابن نويخت وآخرين وان فيها رتبا للمتربين والمساعدين كما كان لها مدير وأعوان وايضا المجلدون فيقول ابن النديم (أن ابي الحريش يجلد في خزانة الحكمة للمأمون).(69) وأما تاريخها فقد ظلت الى عهد ابن النديم (ت 385هـ) ونقل عنها كما يدل على ذلك نصه في النقل صورة الخط الحبشي. وقد كتب كتابه الفهرست سنة (377هـ) وجاء في رسالة الغفران على لسان جارية (اتدري من أنا يا علي بن المنصور انا توفيق السوداء التي كانت تخدم في دار العلم ببغداد على زمان ابي منصور محمد بن علي الخازن وكنت اخرج الكتب الى النساء).(70) وعلي بن المنصور هو أديب من العلماء من أهل حلب تعرّف بأبن القارح له رسالة تعرف برسالة ابن القارح كتبها ابي العلاء المعري (ت424هـ). (71) وهذا مؤثر على أن دار الحكمة أستمرت تؤدي رسالتها العلمية بما ضمته من مؤلفات بلغات مختلفة فضلا عن العربية وهذا قل ما أتفق وجوده في خزانة أخرى ... وعلى الرغم أن نورها سطع ايام الرشيد والمأمون بشكل خاص فقد كان لها دورا ذهبيا في حياة الدولة العباسية ثم خبي ذلك النور من بعدها ... فصار الباحثون يتلمسون اخبارها في بطون الكتب . والراجح كما يرى كوركيس عواد أن انتقال الخلافة العباسية من بغداد الى سامراء شكّل انعطافا حاسما في حياة بيت الحكمة .وتعاقب الفتن على بغداد وما حلّ بها من البلايا ضعفت صفتها العلمية وما هي عليه ولم تتعد وضيقتها الا كونها مكتبة تقدم الخدمات الأعارة والمطالعة وأقتصرت تسميتها على أسم مكتبة المأمون ... وبمرور الزمن للأسف صارت كتبها الى الضياع والتلف وانتهى دورها بالكامل بأجتياح المغول بغداد سنة (656هـ) حيث أصبحت أثر لاغير .

الخاتمة

نشأت منذ نهاية القرن الثاني الهجري وبدايات القرن الثالث الهجري مؤسسات عرفت ببيوت الحكمة أو خزائن الكتب أو دور العلم وهي أشبه ماتكون بالدوائر العلمية أو المؤسسات الأكاديمية في وقتنا الحاضر . كونها كانت معاهد للترجمة , ومدارس للتتقيف والتعليم , ومكانا للنسخ والنقل ومراكز للرصد كما في بيت الحكمة في بغداد . وكان أول هذه الدور هو بيت الحكمة الذي كانت نواته الأولى في عهد ابي جعفر المنصور ثم طور في عهد الرشيد ووصل مرحلة الذروة في عهد المأمون .. وممن عمل فيه على عهد الخليفة الرشيد يوحنا بن ماسويه (ت243هـ) وابو سهل الفضل بن نوبخت, وعلان الشعبي فلما كان عهد المأمون(ت218هـ) أربى على الغاية في رعاية شأن هذا البيت وممن عمل فيه على عهده سهل بن هارون, وسعيد بن هارون , ويوحنا البطريق, وأبو جعفر محمد بن موسى الخوارزمي, وأبناء موسى بن شاكر. وآخرون ذكروا في طيات البحث .. وقد أمتدت حواظر الدولة العربية الإسلامية فأنشأت عدة مكتبات على غرار بيت الحكمة وأن اختلفت في غاياتها والهدف من أنشائها ولعل من أبرزها دار الحكمة في القاهرة التي أسسها العزيز بالله الفاطمي في نهاية القرن الرابع الهجري (395هـ) ونقل اليه الكتب من قصره ومن خزائن القصور المعمورة . وكانت مكانا للنسخ والتأليف والمناظرة حيث جلس فيها القراء والمنجّمون وأصحاب النحو واللغة و الأطباء , وزخرت هذه المكتبة وزينت وعلقت على ابوابها الستائر ووقر فيها ما يحتاج اليه الناس من حبر وأقلام وورق . وعين لها القوام والخدم وكان عدد الخزائن فيها اربعون خزانة , رفوفها مفتوحة وكتبها في متناول الجميع ويستطيع الرغب ان يحصل على الكتاب الذي يريده بنفسه ماتيسر له ذلك فأذا ظل الطريق أستعان باحد المناولين .

ايضا" هناك دار أشتهرت في عهد الدولة الفاطمية في طرابلس الشام وهي مكتبة بني عمار في القرن الخامس الهجري زوّدت هذه المكتبة بالكتب والمصادر العلمية عن طريق وكلاء يجوبون العالم الاسلامي لجلب ماتحتاج اليه وكان فيها عدد كبير من النساخ يتناوبون العمل فيها , أنتهت هذه المكتبة أثناء دخول الصليبيين الى طرابلس وأحرقوها نتيجة تعصبهم الديني الاعمى . أما الاندلس ففيها مكتبة قرطبة التي أنشأها الحكم الثاني المستنصر بالله (350-366هـ) أجمعت في الأندلس خزائن من الكتب لم تكن لأحد من قبله ولا من بعده كان يبعث التجار لشراءها ويبدل الأموال لمنافسة بني العباس في اقتناء الكتب وتقريب العلماء فأصبحت المكتبة مثالا" يحتدى به في مناطق الاندلس مثل أشبيلية وغرناطة . ولكن مصير هذه المكتبة

كان فاجعة حيث احترقت بعد وفاة الخليفة المستنصر بالله الكتب الفلسفية وعلوم الأوائل وبيع الجزء الأكبر منها وما تبقى نهب على يد البربر .
لقد كان لهذه المكتبات دور كبير في عملية التفاعل الحضاري خاصة ما يتعلق بالترجمة والنقل ويتضح ذلك من خلال أستقدام المترجمون ذوي الكفاءة كما في بيت الحكمة كنموذج حي في المكتبات الإسلامية .

الاستنتاجات

- 1- بلغ التطور ذروته في العصر العباسي وأستقر دور الترجمة وكانت حضارة العرب قد تفتحت وأبنتت ثمارها وأخذت تملأ الافاق
- 2- أثرت الكنوز العلمية والثقافية التي نقلها العرب والمسلمون في بيت الحكمة , وأضافت هذه الكنوز الى التراث العربي الثمرة المرجوة فأحدثت تطورا" في العقلية العربية خاصة" في مجال الفلسفة وخطت بالحضارة الإسلامية نحو الرقي والأزدهار .
- 3- لقد حمل العرب والمسلمون عبء الفكر الانساني فبمجرد أن أطلعوا على العلوم والثقافات الاجنبية التي ترجمت , أنطلقوا يطبقونها ويشرحونها ويضيفون لها كل جديد نتيجة الممارسة والتجربة والاستقصاء والملاحظة .
- 4- أدخل العلماء العرب والمسلمين مصطلحات وتعابير جديدة في مختلف العلوم والفنون الى اللغة العربية وهذا يدل على مرونتها وقدرتها على الاستيعاب .
- 5- أخذت العملية العلمية في الترجمة والتأليف في بيت الحكمة طابع الشمول بعد أن كانت في نطاق رغبة الخلفاء لأشباع نهمهم العلمي بل أصبحت سنّة من سنن الدولة ومنهجاً" للأفراد والأسر , وذلك عندما كثر أختلاط العرب بابناء الدول المفتوحة أستشعروا الحاجة الى علوم ومعارف لم تكن لهم بها صلة فقربوا الاطباء والحكماء وأهل الفنون والاداب , والحساب والفلك . وأجزلوا لهم العطاء
- 6- كانت بيت الحكمة في بغداد أنموذجاً" لبيوتات الحكمة في العالم الاسلامي بل كانت هناك منافسة بين هذه المكتبات في الجدل والمناظرة بين المذاهب الاسلامية
- 7- كانت هذه المكتبات أقرب ما عليه اليوم من حيث الادارة والتنظيم وبناء المجموعات العلمية ولم تكن مجرد دور لخرن الكتب بل معاهد علمية وبحثية وثقافية .

قائمة المصادر والمراجع حسب تسلسلها بالبحث

بيت الحكمة في بغداد أنموذجا" لبيوتات الحكمة في العالم العربي والإسلامي نشأتها - تطورها-
اشهر أعلامين فيها ودورها في التفاعل الحضاري

- 1-المقريزي , احمد بن علي (ت845هـ).المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار . القاهرة . مطبعة النيل,1908-337/2
- 2-جرجي زيدان . تاريخ التمدن الاسلامي . القاهرة.(د.ت).232/2
- 3-المقريزي . مصدر سابق 337 /2
- 4-خيال الجزائري . من تاريخ المكتبات في البلدان العربية . دمشق . وزارة الثقافة 2003.ص19.
- 5-ابن خلدون ,عبدالرحمن بن محمد .(ت808هـ). المقدمة . بيروت . 1971 . 79/4
- 6-ابن الجوزي , عبدالرحمن بن محمد .(ت597هـ).المنتظم في تاريخ الأمم والملوك . مطبعة دار المعارف العثمانية . 1954 . 12/8
- 7-ابن الاثير , عزالدين علي بن ابي الكرم.(ت630هـ—).الكامل في التاريخ.بيروت.1967. 246/9
- 8-ابن ابي اصيبعة ,موفق الدين ابو العباس احمد بن قاسم .(ت668هـ—).عيون الانباء في طبقات الاطباء.تحقيق نزار رضا . بيروت . مكتبة الحياة . 1965 . 146/1
- 9-كوركيس عواد . خزائن الكتب القديمة في العراق . بغداد . مطبعة المعارف . 1948 . ص143
- 10-البغدادي,الخطيب ابو بكر احمد بن علي (ت463هـ—). تاريخ بغداد.القاهرة . 1931 . 58-57/11
- 11-الحموي ,ياقوت بن عبدالله.(ت626هـ—). معجم الادباء .ط مارغليوث . القاهرة . 1925 . 360-359/6
- 12-ربحي عليان.الكتب والمكتبات في الحضارة الاسلامية . المعهد العالي للفكر الاسلامي . عمان .1997.ص28
- 13-م.ن.ص.29
- 14-جرجي زيدان .مصدر سابق.234/2
- 15-ربحي عليان .مصدر سابق.ص20
- 16-جرجي زيدان . مصدر سابق.229/2
- 17-م.ن.ص.ص.229
- 18-ابن خلدون .مصدر سابق.146/4
- 19-المقري,نقي الدين ابو العباس أحمد بن علي .(ت845هـ). نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب.تحقيق محمد عبدالحميد.دار الكتاب العربي.(د.ت).186-182/1

- 20- عمر فروخ. تاريخ العلوم عند العرب. دار العلم للملايين -1970. ص112
- 21- توفيق اليوزبكي. التعريب في العصر الأموي العباسي. مجلة اداب الرافدين. ع7. تشرين الاول- 1976. ص47-48
- 22- حكمت نجيب عبدالرحمن. دراسات في تاريخ العلوم عند العرب-جامعة الموصل - 1977. ص26
- 23- م.ن. ص27
- 24- ناجي معروف. اصالة الحضارة العربية. مطبعة التضامن. ط2. بغداد-1969. ص431
- 25- صاعد الاندلسي, ابو القاسم بن احمد(ت462هـ). طبقات الامم. بيروت-1912. ص48
- 26- ابن ابي اصيبعة. مصدر سابق. 1/123-وما بعدها
- 27- م.ن. 1/205
- 28- ابن النديم, ابو الفرج محمد بن اسحاق بن ابي يعقوب الوراق. (ت385هـ). الفهرست. تحقيق رضا تجدد. طهران-1971. ص333
- 29- م.ن. ص118
- 30- م.ن. ص304
- 31- ابن نباته, محمد بن محمد بن الحسن. (ت768هـ). شرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون. القاهرة-1900. ص132
- 32- احمد امين. ضحى الاسلام . بيروت- دار الكتاب العربي, ط1, 1935. 63/2
- 33- ابن النديم. مصدر سابق. ص8
- 34- م.ن. ص21
- 35- المسعودي, علي بن الحسين. (ت345هـ). التنبيه والاشراف. القاهرة -1938. ص30
- 36- كوركيس عواد. مصدر سابق. ص112
- 37- عبد الساتر لبيب. الحضارات. دار المشرق. بيروت-2003. ص16
- 38- ربحي عليان. مصدر سابق. ص31
- 39- فؤاد قزانجي. المكتبات والصناعة المكتبية . العراق. بغداد-1972. ص21
- 40- ابن ابي اصيبعة. مصدر سابق. 1/187
- 41- ربحي عليان. مصدر سابق. ص36
- 42- ابن النديم . مصدر سابق . ص133-134, الموسوعة العربية الميسرة. القاهرة . دار الشعب . 1965. ص1026
- 43- ابن النديم. مصدر سابق. ص134

بيت الحكمة في بغداد أنموذجا" لبيوتات الحكمة في العالم العربي والإسلامي نشأتها - تطورها-
اشهر العاملين فيها ودورها في التفاعل الحضاري

- 44- م.ن. ص134
- 45- م.ن. ص118
- 46- ابن ابي اصيبعة. مصدر سابق. 184/1
- 47- القفطي, جمال الدين ابي الحسن علي بن القاضي .(ت646هـ). اخبار العلماء في اخبار الحكماء. دار الآثار للطباعة والنشر.بيروت.1980.ص117
- 48- ابن النديم. الفهرست. مصدر سابق. ص352
- 49- ابن ابي أصيبعة.مصدر سابق.187/1
- 50- م.ن.195/1
- 51- القفطي. مصدر سابق.ص122;ابن النديم الفهرست.ص355
- 52- ابن خلكان. شمس الدين (ت681هـ).وفيات الاعيان. مصر - 1948. 67/1.خير الدين الزركلي.الاعلام. بيروت. دارالعلم للملايين. ط4, 1971, 294/1
- 53- ابن النديم. الفهرست. مصدر سابق. ص356
- 54- ابن جلجل; ابي داود سليمان بن حسان (ت384هـ). طبقات الاطباء ; تحقيق فؤاد رشيد. مصر. مطبعة المعهد الفرنسي للدراسات الشرقية. 1955; 175/1-183.القفطي. مصدر سابق-248-256;دائرة المعارف الاسلامية . نقلها الى العربية محمد ثابت افندي. طبعة مصر, 1957, 271/1.
- 55- ابن العبري;غريغوريوس الملطي ابو الفرج بن اهرن(658هـ). تاريخ مختصر الدول. بيروت. المطبعة الكاثوليكية- 1890. ص149;ابن النديم. الفهرست.ص353
- 56- جرجي زيدان. مصدر سابق. 166/2; كوركيس عواد. مصدر سابق.ص109
- 57- القفطي . مصدر سابق. ص 248
- 58- ابن النديم. الفهرست. مصدر سابق.ص331;ابن خلكان. وفيات الاعيان. مصدر سابق.278/1
- 59- ابن النديم. الفهرست. مصدر سابق. ص333;القفطي. مصدر سابق. ص168
- 60- ابن النديم. الفهرست . مصدر سابق. 2/ ص334
- 61- الذهبي, شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان.(ت748هـ). تذكرة الحفاظ. بيروت. دار احياء التراث العربي. (د.ت).ص16/2;الخطيب البغدادي. تاريخ بغداد.14/ص77;ابن خلكان. وفيات الاعيان. مصدر سابق. 2/ص214
- 62- الخطيب البغدادي. تاريخ بغداد. مصدر سابق.ص14/177;ابي يعلي محمد بن محمد.(ت526هـ).طبقات الحنابلة. طبع دمشق, 1931. ص268

- 63- ابن النديم. الفهرست . مصدر سابق.ص333;المسعودي.التنبيه والاشراف.مصدر سابق.ص57 ومابعدھا;اسماعيل باشا البغدادي. ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون.تصحیح محمد شريف بلتقايا. وكالة المعارف التركية.1947.ص579
- 64-ابن العبري. تاريخ مختصر الدول. مصدر سابق. ص152
- 65- خيرالدين الزركلي. الاعلام. مصدر سابق. ج7.ص116-117
- 66- ابن النديم. الفهرست . مصدر سابق.ص331;القفطي مصدر سابق.ص208
- 67- حكمت نجيب. مصدر سابق. ص28
- 68- القفطي. مصدر سابق. ص29-30
- 69- ابن النديم. الفهرست . مصدر سابق.ص12
- 70-المعري, ابو العلاء احمد بن عبدالله بن سليمان.(ت949هـ). رسالة الغفران . طبع مصر. 1950,ص137
- 71-خير الدين الزركلي.الاعلام.مصدر سابق.ج5/25